المشروع الإصلاحي عند النظرية الاسلامية في العراق وأثرها على الواقع السياسي العراقي 1914-1920

م. حسن خلف هاشم العلاق
مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية

المقدمة:

يتركب مفهوم الاصلاح داخل الفكر الإسلامي من عناصر مهمة تؤهله الى فرض نفسه داخل التحولات الفكرية والسياسية القائمة ومنها: القدرة على الجمع بين المرغوب والمرفوض. بمعنى أدق إنَ مفهوم الاصلاح يحمل نزعاتِ براجماتية في التعامل مع" الماضي والحاضر" مع القديم والحديث"، مع" التراث والحداثة"، ومع كثير من الثنائيات. ويتبنى رؤية اصلاحية قوية رباعية أو خماسية الدعائم هي" العدل الاجتماعي" ," الانفتاح الثقافي" " الحرية السياسية" ، " النزعة النقدية" ، " نقد الذات قبل نقد الآخر".

من جانب آخر، فأن نجاح أو فشل أية تجربة تنموية يعتمد بالدرجة الاساس على ما تحققه تلك التجربة في عملية بناء الانسان. ومدى تفاعل الاخير معها، وإن هذا التفاعل ينعكس بالضرورة على الطبيعة الشمولية لعملية التنمية التي من أهم ميادينها هو بيان حجم أو مستوى العلاقة الوثيقة بين الدين والحياة وانعكاساتها على نجاح أو فشل التجربة التنموية.

بالمقابل، لما كانت النظرية الاسلامية تتجه نحو اقامة المشاريع الاصلاحية لاسيما ما يخص مفهوم الدولة انطلاقاً من مسار مفهوم الدولة، وصيرورته، وتكوينته، ومجاله التداولي وما هو متعارف عليه من استعماله في الخطاب السياسي والإيديولوجي والديني والثقافي في التفكير الفقهي للمدرسة الاسلامية، فقد شكلت المشاريع الاصلاحية حجر الزاوية داخل النظرية الاسلامية بما تمثله من مفاهيم قائمة على اعتبارات دينية وزمنية تعالج قضية الحكم والتنظيم السياسي. الامر الذي جعل العديد من قيادات المشاريع الاصلاحية الدينية والمدنية لأن يتماثلوا وتأثير الأطروحة الاصلاحية على الرغم من ارتسام طيف واسع من الفقهاء المناهضين لكلية ما جاءت به النظريات الإسلامية آنذاك.

ومن هنا ، حاولت هذه الدراسة تسليط الضوء على موضوع " المشروع الاصلاحي عند النظرية الاسلامية في العراق وأثرها على الواقع السياسي العراقي 1914-1920" ، والتي وزعت على مقدمة ومبحثان وخاتمة. تناولت المقدمة أهمية الموضوع وأسباب اختياره وامكانية بحثه. وجاء المبحث الاول ليعطي صورة واضحة عن اهمية العوامل الداخلية والخارجية التي لعبت دوراً مهماً في حركة المشروع الاصلاحي. فيما تابع

المبحث الثاني منهجية المشروع الاصلاحي وطروحاته وأثره على الواقع السياسي العراقي. أما الخاتمة فقد تضمنت أهم الاستنتاجات التي توصلت اليها هذه الدراسة.

ارتكزت هذه الدراسة على منهج البحث التاريخي الذي يعتمد على استقراء الاحداث التاريخية وتحليليها داخل حركة الدولة والمجتمع وذلك لأنه المنهج الذي يستجيب لمتطلبات البحث التاريخي أكثر من غيره.

المبحث الاول: العوامل الداخلية والخارجية المؤثرة في حركة المشروع الاصلاحي:

شكلت الجماعات الثقافية(الدينية، والاثنية، والمذهبية) تاريخاً التكوينات الرئيسية للتركيب السكاني في العراق . وكانت بمثابة الإطار الأوسع الذي ضم تكوينات وفئات اجتماعية مختلفة ومتباينة المواقع والمصالح. وقد حملت تلك الجماعات خصائص تميزت بها عن غيرها، وحيث قطنت الكتلة السياسية لكل جماعة ثقافية بوجه عام في منطقة معينة فأنها عاشت حياة ثقافية وفكرية واحدة وانتجت تراثاً وتقاليداً شعبية أخذت تتميز بها، أدت بالتالي الى قيام علاقات، عامة تحدد نوع وطريقة التعامل سواءاً مع المجتمع أو مع الدولة[1].

ومن جهة أخرى ، فأن تلك الاوضاع الثقافية كانت قد عبرت عن واقع تاريخي اتسم به المجتمع العراقي ، وبدوره فقد أظهر هذا الواقع الدور الرئيسي الذي لعبته الجماعات وزعامتها الدينية والاجتماعية في الأحداث والتطورات الفكرية والسياسية ودور العوامل الثقافية والايديولوجية في تحريكها لاسيما وأن تلك العوامل كانت قد تضمنت أو تجلت في اطارها العوامل الاجتماعية وتناقضاتها, فمثلاً كثيراً ما شهد العالم أن مصير الثورات والحركات وحالات الاستياء الشعبي التي توارت عن تلك التناقضات أو عن أي سبب آخر كان يتحدد غالباً بمدى استجابة أو احتواء القيادات الدينية والاجتماعية التي تتزعم تلك الجماعات[2].

وعلى ذلك الاساس، فقد مَكَّن ذلك الواقع علماء الدين خصوصاً واعيان ووجهاء الجماعات الاسلامية من تبؤ موقع المتحدث الرسمي لها، وربما الممثل الرئيسي لمصالحها. لأن العامة كانوا ينظرون لهم وخصوصاً الى علماء الدين نظرة الولاء والطاعة بسبب عمق العلاقة الإنسانية ووثوقها بين الطرفين(المرجعية والمجتمع) ، والارتباط العضوي للمقلدين في العالم الاسلامي بالفقهاء العلماء ، وتجاوب الاخير مع التطورات السياسية والاجتماعية وحركات التغيير التي كانت تحدث[3].

بالاتجاه المقابل، فأن عملية تحول التفكير في المفاهيم الفكرية والسياسية يرتبط ارتباطاً عضوياً في السياقات الدينية والسياسية والاقتصادية والثقافية والسيولوجية السائدة في كل مجتمع. وإن عملية فصل مفهوم الدولة بمعناه السياسي كتنظيم بشري ومعناها الكلامي العقائدي كتنظيم للخلافة الاسلامية كان قد أخذ مأخذاً واسعاً داخل الفقه الاسلامي والنظريات الاسلامية التي تمايزت مابين وجوب الدولة الاسلامية التي تتم قيادتها من قبل الولي الفقيه كنائب عن الامام المعصوم (ع) عند المذهب الشيعي ونظريته في الحكم كما هو الحال عند العلامة المحقق الكركي. وبين الدولة المدنية (الدستورية) أو(الشمولية) البعيدة عن ولاية الفقيه كما هو الحال عند العلامة المحقق النائيني والسيد محمد كاظم الخراساني وغيرهم[4]، وحتى داخل المذهب الاسلامي السني ونظرياته السياسية في الحكم. كانت قد

توارت عن القول في أي من الحكومتين الاسلامية أو المدنية، فقد انكشفت جذور الانقطاع والتوقف والانشطار الذي أكتنف مسار الفكر السياسي الاسلامي داخل المذهب السني. فمنذ اثار الفارابي المتوفي عام 339ه لم يعثر على مساهمات جادة في حقل الفلسفة السياسية وحتى من جاء بعده لم يستطع اغناء حقل الفكر السياسي الخاص بإقامة دولة اسلامية أو دولة مدنيه إلا بمحاولات هنا وهناك من فقهاء المذهب السني وتوضيح بعض الادبيات الخاصة بإقامة دولة تسودها العدالة والعلاقات الدولية والاحكام القانونية أمثال الفقيه محمد بن الحسن الشيباني المتوفي 189ه والقاضي أبي الحسن الماوردي المتوفي 458ه اللذان بحثا مسائل الامامة والسياسة . والسبب في ذلك هو أن أولئك الفقهاء والفلاسفة كانت طروحاتهم تتقاطع مع ارادة السلطة الحاكمة. وعدم القول ببيان طبيعة الدولة والتعرف على انموذجاً بديلاً للحكم المستبد ممكن أن يصلح كمعيار لتنظيم علاقة الدولة بالمجتمع. الامر الذي أدى الى شيوع الاستبداد السياسي والذي ادى بدوره الى ضمور الحقول الاساسية في الفكر السياسي الاسلامي[5].

أما بالنسبة الى الاكراد ونظريتهم الفكرية والسياسية داخل واقعهم الفقهي الذي يتبع، "أهل السنة والجماعة " على مذهب الامام الشافعي فقد تجسد زمن الشيخ عبيد الله النهري والشيخ محمود الحفيد والشيخ عبد السلام البارزاني في القول بالحركات الاصلاحية التي تدعو الى قيام دولة المؤسسات بعيداً عن النظام الشمولي، ورفع المظالم عن المكون الكردي، وبين أن تشهر السلاح بوجه الدولة العثمانية الامر الذي اعتبرته الاخير بمثابة الانفصال لاسيما بعدما قاد الشيخ البارزاني عام 1907 بعض الحركات المسلحة في شمال العراق[6].

وأن ما يحسب الى كل ذلك الترتيب الفقهي الثلاثي هو أنه كان قد التقى داخل المشروع الإصلاحي محاولاً النجاح في إقامة واقع سياسي منتظم دستورياً[7].

على الجانب الآخر، فقد أسهمت التنقلات النوعية التي حملت المفاهيم الفكرية والسياسية التي تدعو الى الحياة الدستورية، والتي شقت التربة المجتمعية الاسلامية مع بداية القرن العشرين في تقليص المسافة العقدية التي تماثل على جانبيها البقاء تحت واقع النظم الاستبدادية، أو الذهاب باتجاه تحريك المشاريع الاصلاحية التي تحد من الاستبداد وترسم واقعاً سياسياً دستورياً قائماً على بناء الدولة الدستورية[8].

وأمام ذلك الواقع ، فقد كان للعوامل الخارجية والداخلية دوراً مهماً في ايقاظ روح الحركة الاسلامية ومشروعها الاصلاحي، فقد شكل قيام الثورة الدستورية (المشروطة) في ايران عام 1905-1906 أحد المظاهر السياسية المهمة في نشوء حركة المشروع الاصلاحي عند النظرية الاسلامية في العراق، فقد أثرت تأثيراً مهماً على التفكير داخل المدرسة الفقهية الاسلامية لاسيما في قضايا المشروعية السياسية والدستور والبرلمان وتداول السلطة والانتخابات، ونمط الدولة وغير ذلك من الاستفهامات والاسئلة التي كانت قلقة وحائرة. والتي أوقدت التفكير في كل هذه القضايا وقادت ذلك التفكير الى الانخراط في مجال هيمن على الفضاء المعرفي داخل النظرية الاسلامية .

بدرجة أخذ فيها الفقهاء وعلماء الدين لاسيما في النجف الاشرف والذين كانوا هم روح الثورة الدستورية في ايران والمحرك الرئيسي لها. بالتعاطي مع تلك الجدليات الفكرية والسياسية والتي اشعلت النور داخل حركة المجتمع. وقد ساهم هذا التفكير في ايجاد ارضية واسعة للوعي

الدستوري داخل العراق كخطوة أولى في سلسلة المشروع الاصلاحي عند النظرية الاسلامية [9].

وإذا كان دعم علماء الدين وقيادتهم للثورة الدستورية في ايران ، واعتبارها انموذجاً لطرح تجربتها في العراق كان قد مثل أحد المظاهر الفكرية والسياسية لحركة المشروع الاصلاحي العراقي. فأن المظهر الآخر كان قد تمثل في دعمهم وتأييدهم للحركة الدستورية العثمانية عام 1908 التي قادتها " جمعية الاتحاد والترقي" والتي سميت بانقلاب الاتحاديين[10].

وفي الواقع، فقد كان تأييد الانقلاب أنما كان نابعاً من الموقف المبدئي لعلماء الدين في معارضة الاستبداد العثماني والدعوة الى اقامة أنظمة حكم دستورية في البلاد العربية وفي العراق. لذلك كان الانقلاب احد العوامل المهمة في حركة المشروع الاصلاحي العراقي لاسيما وأنه كان هناك ارتباطاً بين حركة الوعي الفكري الذي ساد (استانبول، وطهران، والعراق) عن طريق لجنة السعادة التي قادت ذلك الارتباط[11]،فضلاً عن انشاء فرع لـ(جمعية الاتحاد والترقي) داخل العراق في النجف الأشرف[12].

أما بالنسبة الى العوامل الأخرى التي اثرت في تحريك المشروع الاصلاحي العراقي فقد تمثلت في مواقف علماء الدين من الدول الاستعمارية تجاه الدولة الاسلامية. فبعد محاولة روسيا الاعتداء على ايران عام 1911 وتجاوز حدودها، ارسل المرجع السيد محمد كاظم الخرساني احتجاجاً شديد اللهجة الى الحكومة الروسية حثها به على التراجع عن ما تريد. ثم اصدر فتوى الجهاد ضدهم، كما اصدر فتوى ثانية للجهاد ضد العدوان الايطالي على ليبيا عام 1913 ، الامر الذي ادى الى استجابة شعبية واسعو وانطلقت التظاهرات وعقدت لجان ضمت مختلف الطوائف رفعت شعارات الوحدة ونبذ الطائفية ، الامر الذي هيأ الاجواء والارضية المناسبة للمطالبة بالتحرر والعمل على قيادة المشاريع الاصلاحية التي تكفل قيام دولة عراقية حديثة المعالم[13].

المبحث الثاني: منهجية المشروع الاصلاحي وطروحاته وأثرها على الواقع السياسي العراقي

أدت التطورات الفكرية والسياسية التي اخذت تجتاح بدايات القرن العشرين والربع الاول منه والتي تبنت الأفكار الدستورية الى تبلور رؤية فكرية وسياسية على نحوً أصبح فيه النص الفكري والسياسي داخل المشروع الاصلاحي عند النظرية الاسلامية في العراق مشحوناً برؤى واهداف ديمقراطية لها فلسفتها ونمطها في بناء الدولة، ولها القدرة على المقاربة والتبرير أمام الواقع، وتأمين الغطاء الشرعي الاسلامي والمدني بما يمنح أنصارها مشروعيته وينقذهم من الارتداء نحو تبني النظم الشمولية وذلك عن طريق قراءة لغة المشروع الاصلاحي لغة فكرية وسياسية دستورية تعمل على اكتشاف آفاق ذلك المشروع ومداراته ومعالمه [14].

ومما لاشك فيه، فقد كان من نتائج الترجمة الفكرية والسياسية لتك التحولات هو ذلك اللقاء الذي أخذ يتعارض بين المشروع الاصلاحي ومن تبناه وبين الواقع القائم الذي لا يؤمن بنظرية التغيير[15].

ومن أجل تسليط الضوء على الجوانب المختلفة التي تحرك على اساسها المشروع الاصلاحي عند النظرية الاسلامية في العراق لابد من الاشارة الى أن الحركة تمثلت في اتجاهين رئيسيين هما" الدولة" و"

المجتمع" . فبالنسبة الى الاتجاه الاول فأنه لما كان أصحاب المشروع الاصلاحي يؤمنون بالقيمة الاساسية لمفهوم الاصلاح ويذهبون الى وضع حد للأوضاع القائمة ويؤمنون بأن الهدف من حركتهم الاصلاحية هو تغيير الواقع نحو الافضل فقد دعى المصلح السيد محمد كاظم الخرساني الذي يُعد واحداً من أبرز المراجع الدينية ودعاة الاصلاح في النجف الاشرف الى قيام النظم الدستورية واتباعها والعمل على بيان مفهوم الديمقراطية التي تحقق الاستقرار السياسي والاجتماعي للشعب وتأليف المجالس النيابية وأطلاق حرية الصحافة واجازة الأحزاب السياسية وحرية العمل الفكري والالتفاف حول الفكرة الدستورية والعمل على تحقيق الادارة اللامركزية في العراق[16].

ونتيجة لذلك، قاد ذلك التفكير المتبادل الى العمل على استثمار مكونات الفقه الديني، والأصولية العربية للمجتمع العراقي في تعبئة الشعب، ومحاولات اجتراح تفسيرات تستند الى الشريعة الاسلامية والسنة النبوية والتراث من أجل تشكيل رؤية واضحة باتجاه قيام الدولة الدستورية[17].

وللاقتراب من ابعاد الصورة أكثر، فقد بدأ التنظير والكتابات القيمة بذلك الاتجاه ومنها رسالة الشيخ النائيني" تنبيه الامه وتنزيه الملة" التي طبعت في النجف عام 1909 والتي اشتهرت بأنها واحدة من أهم النصوص المؤسسة في الفكر السياسي الاسلامي الحديث بما تحتويه من اسلوب استدلالي في بيان رؤية قيام الدولة واستيعابها لثقافة العصر، وقيام نظمها وتدابيرها والتفكير خارج المدونة الفقهية في قضايا الدستور وضرورة وجود برلمان وانتخابات برلمانية والمساواة بين المواطنين، لذلك كانت تلك الرسالة هي النص الوحيد في كل الكتابات الذي اخترق الزمن، وتحول فيما بعد الى انموذج إرشادي.ومنبع مهم للرؤى السياسية في الفقه السياسي الاسلامي الشيعي خصوصاً[18].

من جهة أخرى ، احتلت مجلة" العلم" النجفية التي اصدرها السيد هبة الدين الشهرستاني عام 1911 والذي يعد واحداً من أبرز دعاة المشروع الاصلاحي، المكانة البارزة في عالم الثقافة وسيناريوهات المشروع الاصلاحي بما أخذت تطرحه من أفكار إصلاحية، وقد ساعد على تبنيها كثرة انتشارها بين الأوساط المثقفة وداخل العراق عن طريق المبلغين والطلاب والحوزات العلمية والمكتبات[19]،

كذلك ، فقد أوجد ذلك المناخ تطلعاً عند النخبة الشبابية المثقفة المدنية وبدأت تصدر الصحف السياسية الاهلية والتي وصل عددها الى ما يقارب (25) صحيفة منها صحيفة (بغداد) ، كذلك(الرقيب، الارشاد، الانقلاب، الإيقاظ، اظهار الحق، النجف، الدستور) والتي حررتها نخبة مميزة من رواد الصحافة مثل(سليمان فيضي، وحمدي الباجه جي، وعمر فوزي، ومزاحم الباجه جي، ومحد باقر الشبيبي، وعبد الجبار الاعظمي) وهم تشكيلة عراقية متنوعة الامر الذي يشير الى حيوية المشروع الاصلاحي ومدى تأثيره داخل العراق[20]،الى درجة أن الحركة الاصلاحية بدأت تناقش شكل الحكم وصولاً على المطالبة بإجراء انتخابات اولية تعمل على صياغة نظام سياسي دستوري عراقي[21].

أما الاتجاه الثاني فهو " المجتمع" فقد تحركت الحركة الاصلاحية نحو ترتيب النسيج الاجتماعي وتنظيمه وبناء أفكاره عقائدياً باعتباره المشروع الاكبر الي تستمد منه القوة بذلك الاتجاه لذلك كان للمجالس

الادبية التي توزعت في مناطق العراق المختلفة لاسيما في النجف الاشرف دوراً مهماً في تأطير النسيج الاجتماعي بالأفكار والآراء التحررية والمناقشات التي أخذت تتبلور على شكل منهاج عمل باتجاه الحياة الدستورية[22].

وفي الحقيقة ، فقد ردت النخبة المثقفة داخل المشروع الاصلاحي على الشبهات والنظريات الفكرية التحديثية التي روج لها آنذاك والتي اخذت تحوم داخل العالم الاسلامي وذلك لزعزعة الاسلام وعقائده. كما هو الحال عند الشيخ البلاغي الذي قدم ما بوسعه من الفكر المناهض لتلك الطروحات المشبوهة[23].

أما المساجد، فقد كان لها دوراً مهماً في ايقاظ روح المشروع الاصلاحي بسبب الخطابة الدينية المعتدلة والارشاد والوعي ونشر المفاهيم الاساسية في بناء العدل والقانون عن طريق الخطباء والمبلغين الذين وزعوا من قبل المرجعية الدينية في اغلب مناطق العراق[24].

أما الحلقات الدراسية داخل الحوزة العلمية، فقد ساعدت كثيراً على اثارة النبرة الاصلاحية داخل السلسلة المجتمعية عن طريق حلقة داخل حلقة ساعدها في ذلك قيام حركة بناء المدارس الدينية وتوسعها[25]، واخذت طرق التعليم بالتحديث بدرجة اصبحت المدرسة(العلوية) والمدرسة (الرضوية) في النجف الاشرف كأنها نادٍ ثقافي وسياسي، اتخذ منه المشروع الاصلاحي مقراً لحركتهم. كما استعانت الحركة الاصلاحية وعن طريق الطلبة الهنود بتدريس مواد اللغة الانكليزية واستعانت ببعض التجار والميسورين في مساندة المشروع الاصلاحي لغرض انتشارها وتوسعها كذلك مثلت مدرسة(الغري) في النجف الأشرف احد المراكز القيادية المهمة لحركة المشروع الاصلاحي حتى أخذ يطلق عليها (طبقة احرار مصلحي النجف)[26].

وتتابعاً مع حركة المشروع الاصلاحي، فقد توجهت الحركة الاصلاحية الى اصلاح الجانب الاجتماعي وغرس المفاهيم الدستورية فيه خصوصاً القرى والارياف البعيدة، فقد عملت المرجعية الدينية على ارسال ما أمكنها من اصحاب العلم وطلبة الحوزة والمبلغين الى القرى والارياف لزرع الثقافة الدينية والاكاديمية والدعوة الى ترسيخ مفهوم الدولة المدنية الدستورية. ونبذ الفرقة والتعصب والاحتجاج على الاساطير والخرافات التي اخذت تنتشر داخل المجتمع آنذاك[27].

أما الجانب الاقتصادي فقد أخذ نصيباً جيداً من ذلك المشروع ، بسبب اهمية الاقتصاد وحرص الاسلام على قيامه وديمومته، فقد أكد على أن قوام أي دولة هو بقوتها الاقتصادية وأن اساس هذه القوة هو التنظيم الاقتصادي الخاص بمجالات الزراعة والتجارة والصناعة والعمل على ايداع وارداتها في مصارف حكومية. لأن تلك الواردات لا يمكن لها أن تستقيم إلاّ عن طريق المصارف. بتعبير ادق العمل على ايجاد نسقٍ عالٍ من الواردات حتى تساهم في عمليات التنمية الاقتصادية[28]، وطالبت الحركة الاصلاحية بانخراط الرأسمال المحلي في الأنشطة الاقتصادية واستثمار الأموال وبناء اقتصاد خاص الى جانب الاقتصاد العام، فضلاً عن الاسهم المشتركة مع الدولة[29].

وأمام كل ما تقدم ، كان ذلك التحرك الممنهج قد حصد ثماره بعد ما توحد العراقيون أمام الاحتلال البريطاني عام 1914 ، فقد افتى شيخ الاسلام مُفتي الدولة العثمانية فتوى بوجوب الجهاد ضد المحتل، كذلك اصدر

علماء الدين في النجف الأشرف فتوى مماثلة تدعو للجهاد وتأييد الدولة العثمانية الاسلامية ضد الاحتلال البريطاني[30].

وفي الحقيقة ، فأن المغزى الديني والشرعي والسياسي الذي حملته تلك الفتاوى هو التعبير العملي عن الموقف الاسلامي المعادي للأستعمار، وكذلك إظهار مدى ادراك علماء الدين في تقديم أولوية الوحدة الاسلامية والوطنية والتعالي عن المذهبية والأثنية وغيرها. كما أن الاستجابة لتلك الفتاوى أظهرت هي الأخرى الدور الفاعل للعامل الديني في استنهاض الصف الوطني. ومن ثم تعميقه في المجتمع[31].

ومن جانب آخر، فبعد انتهاء الحرب العالمية الاولى وعقد هدنة (موندروس)، فضلاً عن ما نشرته بنود ولسن في 30 تشرين الاول 1918 التي نصّت على تأليف حكومات وادارات بريطانية في البلاد المتحررة من السيطرة العثمانية، لذلك نشأ عند القوى الوطنية العراقية كجزء من المشروع الاصلاحي الذي قام على اساس الحرية والاستقلال واقامة دولة دستورية بعيدة عن التبعية. اتجاه يدعو للمطالبة بالاستقلال، مما أدى الى تبلور حركات سياسية وعسكرية تبنت ذلك الدور[32]،

فقد تشكلت " جمعية النهضة الاسلامية" عام 1918 كإحدى ثمار الوعي السياسي داخل المشروع الاصلاحي، ضمت العديد من الشخصيات الدينية والمدنية مثل الشيخ عبد الكريم الجزائري، ومحمد رضا الشبيبي، وباقر الشبيبي، وعلي الشرقي، فضلاً عن روؤساء العشائر مثل حمادي زوين وعبد الواحد سكر وعلوان الياسري وغيرهم[33]، ثم تشكلت جمعية" حرس الاستقلال" عام 1919 التي تعد تجربة عراقية مهمة استهدفت طرح المشروع الاصلاحي عملياً، وقد ضمت العديد من علماء الدين والمثقفين والتجار والضباط وغيرهم مثل السيد(محمد حسن الصدر، ومحمود رامز وبهجت زينل، وعلي البازركان، وجلال بابان، ومحي الدين السهروردي، وعبد الغفور البدري، وجعفر ابو التمن وغيرهم[34]، وكذلك تأسست جمعية العهد في 1919 والتي مثلت امتداداً الى جمعية العهد القديمة وكان لها فرعان في بغداد، والموصل، وضمت ايضاً مثقفين وتجار ومحامين وغيرهم مثل(امين زكي سليمان، وقاسم العلوي، وحسن رضا، وسعيد ثابت)[35].

ونتيجة لذلك، أخذت كل هذه الجمعيات دورها في تهيئة الأجواء السياسية والعسكرية بما يلائم التصدي للاحتلال البريطاني والعمل على اقامة دولة عراقية لها دستورها ومكانها المناسب، لذلك بدأت الحركات العسكرية مثل ثورة النجف عام 1918، والحركات العسكرية التي تواجدت في دير الزور التي هيأتها جمعية العهد[36]، وانخراط الجبهة الكردية بقيادة الشيخ محمود الحفيد في النضال المسلح والاصطفاف الى جانب المشروع الاصلاحي[37]، حيث تمكن من السيطرة على السليمانية وإعلان أول حكومة كردية عام 1919 وتنصيب نفسه ملكاً عليها. فكانت أول حركة ثورية عملية بعد الحرب العالمية الاولى [38].

بالاتجاه المقابل، استمر المشروع الاصلاحي يطرح نفسه على الواقع، وقد رفضت قيادات ذلك المشروع الاندماج لا بالفرس ولا بالعثمانيين وفضلوا المصلحة الوطنية وقيام دولة عراقية دستورية لأنهم عرباً دافعوا عن فكرة الاسلام والعروبة، وأن وقوعهم تحت الحكم الاستبدادي العثماني كان قراً منطقياً لتطلعاتهم نحو الحكم

الدستوري[39]، والتي افرزتها ثورة العشرين الوطنية التي طرحت نفسها ولامست التعبير الامثل لمفهوم المشروع الاصلاحي وتطلعاته المستنيرة وانتهت بقيام حكومة عراقية مؤقته تسعى لاستكمال متطلبات الدولة العراقية الواقعية بدستورها وقانونها وحدودها وشعبها والتي تأسست عام 1921 [40]، كجزئية من أهم جزيئات المشروع الاصلاحي الذي تبنته النظرية الاسلامية وحركت كل القوى الوطنية بذلك الاتجاه [41].

صفوة القول، إن المشروع الاصلاحي عند النظرية الاسلامية كان قد أشر الى منعطف حاد في تحديث التفكير السياسي، وتبلور مرتكزات محورية لمفهوم الدولة عبر توظيف بعض المكتسبات التي رافقت الواقع, الى الحد الذي بدأ به عمل السلطة الشمولية بالتقنين، واصبح قيام الدولة العراقية التي سعى اليها المشروع الاصلاحي هاجساً نخبوياً وجماهيرياً انخرطت فيه النخبة الدينية والمدنية وعاشت واقعه الفاعل[42].

الخاتمة:

مما سبق يبدو واضحاً، أن المشروع الاصلاحي داخل النظرية الاسلامية وعلى الرغم من تماثله وواقع العالم السياسي الذي رافقه طوعاً أو كرهاً كان قد شكل مقدمة مهمة وواضحة في ضرورة تحريك الواقع في الاتجاه الصحيح. والعمل على المواجهة الفكرية أولاً حتى يتم تأسيس ارضية واعية مثقفه تستطيع أن تحتوي جزيئات الواقع المتبقية وهو ما جعل المشروع الاصلاحي يؤدي دوراً أكبر تمثل في القدرة على ارتفاع المستويات الفكرية التي اخذت تؤسس ذلك المشروع وتلملم الواقع السياسي والعسكري والاجتماعي. الذي مثلته التيارات والاحزاب والمنتديات الادبية، والحركات العسكرية وصولاً الى تأطير كل تلك الجزئيات بقيام حكومة عراقية عام 1920.

وعلى الرغم من بعض الاختلالات التي رافقت الحركة الاصلاحية هنا وهناك الى أن المشروع ذلك المشروع الاصلاحي يُعد حالة متقدمة قياساً مع واقع الانظمة السياسية المجاورة.. قياساً بالواقع العراقي المتأخر والذي هيمن عليه البناء الاجتماعي لقوى ما قبل الدولة كالطائفية والعشيرة والعائلة وغيرها.

قائمة المصادر

أولاً- الكتب العربية:

1- صلاح مهدي علي الفضلي، الدور الوطني للمرجعية الدينية في تاريخ العراق الحديث والمعاصر 1900-2002، بيروت، 2011.
2- علي عبد شناوه، محمد رضا الشبيبي ودورها السياسي والفكري حتى عام 1965، بيت الحكمة، بغداد، 2003.
3- عبد الله الفياض، الثورة العراقية الكبرى سنة 1920، بغداد،1963.
4- عبد الرزاق الحسني، تاريخ العراق السياسي الحديث، مج1، ط1، دار الرافدين للطباعة، لبنان، 2008.
5- علي المحافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة(1798-1914)، بيروت، 1980.
6- فيليب ايرلند، العراق دراسة في تطوره السياسي، ترجمة: جعفر الخياط، بيروت، 1949.

7- علي عباس، النجف اصالة الماضي واشراقة الحاضر، بغداد، 1988.
8- محمد حسين كاشف الغطاء، الاتحاد والاقتصاد ، المطبعة العلوية، النجف الاشرف، 1931.
9- جورج انطونيوس، يقظة العرب، بيروت، 1974.
10- عبد الرزاق احمد النصيري، دور المجددين في الحركة الفكرية والسياسية في العراق 1908-1932،مكتبة عدنان، بغداد، 2012.
11- وميض جمال عمر نظمي، الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية (الاستقلالية) في العراق، ط2، بيروت، 1985.

ثانياً: الرسائل والاطاريح

1- عدي حاتم عبد الزهرة المفرجي، حركة التيار الاسلامي النجف 1908-1932، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الكوفة، 2002.
2- رغد فلاح عبد الكاظم الخزرجي، الشيخ محمد جواد البلاغي دراسة تاريخية 1865-1933، رسالة ماجستير ، كلية الآداب، جامعة الكوفة ، 2009.

ثالثاً: البحوث المنشورة:

1- حازم عبد الحميد النعيمي، دور الشباب في الحياة السياسية العراقية 1908-1958،- ط المجلة السياسية والدولية"،(مجلة)، كلية العلوم السياسية، الجامعة المستنصرية، العدد14- السنة الرابعة، 2010، ص161.
2- غسان العطية، التنظيم الحزبي في العراق قبل الحرب العالمية الاولى،-" مجلة دراسات عربية" ، (مجلة)، بيروت، العدد 12، السنة 8، 1972.
3- عبد الجبار الرفاعي، مفهوم الدولة في مدرسة النجف الاشرف سياقات المفهوم وتحولاته في التاريخ القريب،-" المعهد" ،" مجلة" معهد العلمين للدراسات العليا ، النجف الاشرف، ، العدد 7، 2015.
4- بشرى محمود الزوبعي، الحركة الاسلامية في كردستان العراق 1952-1971، - " اكليل"،(مجلة)، الجمعية العراقية العلمية للمخطوطات ، بغداد، العدد9، 2022.
5- لقاء جمعة عبد الحسن الطائي، التيارات الدينية الاصلاحية، ابان الدولة العثمانية وأثرها على المجتمع العراقي 18766-1918،-" مجلة كلية التربية" ،(مجلة) ، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية، العدد4، 2021.

رابعاً: المجلات العلمية:

1- " العلم" (مجلة)، النجف الاشرف ، العدد2-3، السنة الاولى ، 29 نيسان،1910.
2- العلم" (مجلة)، النجف الاشرف، العدد1، السنة الثانية، 29 آيار ،1911.

خامساً: الصحف:

1- " النجف" ،(صحيفة)، العدد 53، 10 آب 1926 .
2- النجف"،(صحيفة) ، النجف الاشرف ، العدد 69، 41 كانون الاول 1927.
3- اللسان" ،(صحيفة) ، بغداد، 9 نيسان1920.

الهوامش

1. ينظر للتفاصيل:
ابراهيم الحيدري، "حنا بطاطو وتحليل الطبقات الاجتماعية في العراق"، العدد 4534، مجلة ايلاف ،لندن، الأحد 20 أكتوبر 2013.
2. See: Jerry Z.Muller,"Capitalism and Inequality, What the Right the Left Get2 Wrong", Foreign Affairs,march-April,vol.2,no.2,2013,pp.30-51؛
3. محمد غانم الرميحي، "المعوقات الثقافية للتنمية"، مجلة البحرين الثقافية،السنة7،المنامة،اكتوبر/تشرين الثاني2000،ص97.
4. المرجع نفسه، ص98 – 100 .
5. مظهر محمد صالح، "الطبقة الوسطى في العراق"، مجلة الحوار،العدد41،السنة التاسعة،بغداد،ايار 2014 ، ص15
6. محمد الرميحي، المصدر السابق،ص79. [6]
7. سعاد خيري، من تاريخ الحركة الثورية المعاصرة في العراق، الجزء الاول1920-1958،مطبعة الاديب البغدادية، بغداد،(د.ت)،ص7-47
8. ماريون فاروق سلوغت وبيتر سلوغت ،من الثورة الى الديكتاتورية العراق منذ 1958،ترجمة مالك النبراسي، منشورات الجمل،المانيا،2003 ،ص69؛حميد جاعد، الحركة النقابية في العراق دراسة تاريخية موجزة، مطبعة دار السلام، بغداد،1974،ص8 أيضاً: ياسين النصير،" مكونات الطبقة الوسطى في العراق (2-2): الطبقة الوسطى قائدة التحول الاجتماعي"، في الموقع الالكتروني:
i. http://almadapaper.net/sub/04-371/p18.htm
9. حنا بطاطو، العراق الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العد العثماني حتى قيام الجمهورية،ترجمة عفيف الرزاز، الكتاب الاول،الطبعة الرابعة،مؤسسة الابحاث العربية، بيروت، ص134.
10. ينظر مفيد الزيدي :" العرب والنهضة بين قرنين الدروس والعبر المستفادة"، مجلة فكر وفن، العدد15،الرباط-المغرب،2000.
11. ينظر التفاصيل في:
عبدالرزاق احمد النصيري، دور المجددين في الحركة الفكرية والسياسية في العراق،1908-1932،الطبعة الاولى، الناشر مكتبة عدنان،بغداد،2012،ص417-418.في الاصل اطروحة دكتوراه من قسم التاريخ بكلية الآداب-جامعة بغداد عام 1990 وتعد من بين افضل اطروحات الدكتوراه عن تاريخ العراق الثقافي التي انجزت في هذه الكلية العريقة والاكاديمية .
12. حنا بطاطو، العراق الشيوعيون والبعثيون والضباط الاخرار، الكتاب الثالث، ترجمة عفيف الرزاز، الطبعة الرابعة،مؤسسة الابحاث العربية،2020،ص235.،
13. حنا بطاطو، العراق ،الحزب الشيوعي، الكتاب الثاني، ترجمة عفيف الرزاز،الطبعة الرابعة، مؤسسة الابحاث العربية، بيروت،2020،ص244.

14. عبدالرزاق احمد النصـــيري، دور المجددين في الحركة الفكرية والســـياســـية في العراق،1908-1932،الطبعة الاولى، الناشر مكتبة عدنان،بغداد،2012،ص417-418.في الاصـل اطروحة دكتوراه من قسم التاريخ بكلية الآداب-جامعة بغداد عام 1990 وتعد من بين افضـــل اطروحات الدكتوراه عن تاريخ العراق الثقافي التي انجزت في هذه الكلية العريقة والاكاديمية .
15. ينظر للتفاصـيل :خالد حبيب الراوي، تاريخ الاذاعة والتلفزيون في العراق، بغداد، 1992.
16. عبد الرزاق الحسـني، تاريخ العراق السـياسـي الحديث، مج1، ط1، دار الرافدين للطباعة، لبنان، 2008، ص40.
17. علي المحافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة(1798-1914)، بيروت، 1980، ص214.
18. غســـان العطية، التنظيم الحزبي في العراق قبل الحرب العالمية الاولى،-" مجلة دراسات عربية" ،(مجلة)، بيروت، العدد 12، السنة 8، 1972، ص33.
19. عبد الجبار الرفاعي، مفهوم الدولة في مدرســة النجف الاشـرف سـياقات المفهوم وتحولاته في التاريخ القريب،-" المعهد" ،" مجلة" معهد العلمين للدراسات العليا ، النجف الاشرف، ، العدد 7، 2015، ص69-70.
20. المصدر نفسه، ص60-61.
21. بشرى محمود الزوبعي، الحركة الاسلامية في كردستان العراق 1952-1971، -" اكليل"،(مجلة)، الجمعية العراقية العلمية للمخطوطات ، بغداد، العدد9، 2022، ص122-123.
22. صـــلاح مهدي علي الفضـــلي، الدور الوطني للمرجعية الدينية في تاريخ العراق الحديث والمعاصر 1900-2002، بيروت، 2011، ص79.
23. عبد الجبار الرفاعي، المصدر السابق، ص70.
24. المصدر نفسه، ص71.
25. فيليب ايرلند، العراق دراسـة في تطوره السـياسـي، ترجمة: جعفر الخياط، بيروت، 1949، ص134-135.
26. لقاء جمعة عبد الحسـن الطائي، التيارات الدينية الاصـلاحية، ابان الدولة العثمانية وأثرها على المجتمع العراقي 18766-1918،-" مجلة كلية التربية" ،(مجلة) ، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية، العدد4، 2021، ص79
27. المصدر نفسه، ص80.
28. عبد الله الفياض، الثورة العراقية الكبرى سنة 1920، بغداد،1963، ص82.
29. عدي حاتم عبد الزهرة المفرجي، حركة التيار الاســـلامي النجف 1908-1932، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الكوفة، 2002، ص42-43.
30. علي عبد شـناوه، محمد رضـا الشـبيبي ودورها السـياسـي والفكري حتى عام 1965، بيت الحكمـة، بغداد، 203، ص39-41
31. عدي حاتم عبد الزهرة المفرجي، المصـــدر الســـابق، ص26-27.

32. علي عبد شناوه، المصدر السابق، ص 43.
33. عبد الجبار الرفاعي، المصدر السابق، ص77.
ينظر على سبيل المثال:" العلم" (مجلة)، النجف الاشرف ، العدد2-3، السنة الاولى ، 29 نيسان،1910،ص50-61؛:" العلم" (مجلة)، النجف الاشرف، العدد1، السنة الثانية، 29آيار ،1911،ص17-22.
34. حازم عبد الحميد النعيمي، دور الشباب في الحياة السياسية العراقية 1908-1958،- ط المجلة السياسية والدولية"،(مجلة)، كلية العلوم السياسية، الجامعة المستنصرية، العدد14- السنة الرابعة، 2010، ص161.
35. عدي حاتم المفرجي، المصدر السابق، ص27.
36. علي عبد شناوة، المصدر السابق، ص77
37. رغد فلاح عبد الكاظم الخزرجي، الشيخ محمد جواد البلاغي دراسة تاريخية 1865-1933،
رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الكوفة ، 2009، ص6,
38. علي عباس، النجف اصالة الماضي واشراقة الحاضر، بغداد، 1988، ص46-47.
39. عدي حاتم المفرجي، المصدر السابق، ص129.
40. المصدر نفسه، ص130-133.
41. ينظر على سبيل المثال:" النجف" ،(صحيفة)، العدد 53، 10 آب 1926 ، ص2-3؛ " اللسان" ،(صحيفة) ، بغداد، 9 نيسان1920، ص243.
42. ينظر: على سبيل المثال مقال الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في –" النجف"،(صحيفة) ، النجف الاشرف ، العدد 69، 41 كانون الاول 1927، ص1-3.
43. محمد حسين كاشف الغطاء، الاتحاد والاقتصاد ، المطبعة العلوية، النجف الاشرف، 1931، ص23-26.
44. لقاء جمعة عبد الحسن الطائي، المصدر السابق، ص83.
45. المصدر نفسه، ص83.
46. جورج لونيوس، يقظة العرب، بيروت، 1974، ص227.
47. عبد الرزاق احمد النصيري، دور المجددين في الحركة الفكرية والسياسية في العراق 1908-1932،مكتبة عدنان، بغداد، 2012، ص125-130.
48. المصدر نفسه، ص127.
49. حازم عبد الحميد النعيمي، المصدر السابق، ص170.
50. صلاح مهدي الفضلي، المصدر السابق، ص77.
51. بشرى محمود الزوبعي، المصدر السابق، ص122.
52. صلاح مهدي الفضلي، المصدر السابق، ص81
53. وميض جمال عمر نظمي، الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية (الاستقلالية) في العراق، ط2، بيروت، 1985، ص141.
54. المصدر نفسه، ص145.
55. عدي حاتم المفرجي، المصدر السابق، ص97.
56. عبد الجبار الرفاعي، المصدر السابق، ص89.